



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعظم الظلم وأكبره

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۝﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]... أما بعدُ ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

عبادَ الله، إن الله جل جلاله موصوفٌ بكل صفات الكمال والجلال، منزّه عن صفات العيوب والنقائص، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: 60]. فكل صفاته كمالٌ، وكل عيب أو نقص فالله منزّه عنه ومبرأً عنه، جلّ وعلا وتقدّس إليه ومعبودًا.

فمن كمال عدله جل جلاله أنّه حرّم الظلم على نفسه، وجعل هذا الظلم محرّمًا بين عباده، في الحديث القدسي: ((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّمًا، فلا تظالموا))، وقد جاءت نصوص القرآن لتنفّي عن الله هذا النقص والعيب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: 76]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: 44].

أيها الإخوة، إن الظلم في كتاب وفي سنة رسوله ﷺ دائرٌ بين أمور ثلاثة: فأعظمُ الظلم وأكبره وأشدّه إنه ظلمُ المشرك، فإن العابدَ لغير الله الذي صرف أنواعَ العبادة كلها أو بعضها لغير الله سبحانه وتعالى قد أتى بأعظم الظلم وأكبر الظلم؛ إذ [العبودية] على الحقيقة إفرادُ الله تعالى بجميع أنواع العبادة، فالدعاءُ خالصٌ لله، والذبحُ خالصٌ لله، والنذرُ خالصٌ لله، والخوفُ الحقيقي من الله، والرجاءُ الحقيقي لله، وكل أنواع العبادة حقٌّ لربنا جل جلاله، لا يجوز أن يُصرف منها شيء لغير الله، يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَلْمَسَ لِحَدِّ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:18]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:72]، وآيات كثيرة، فالشركُ أعظم ظلمٍ وأكبر الظلمِ وأشدّه، ولهذا يحبط كل الأعمال، ولا يمكن لأيِّ عملٍ أن يصلح مع الشرك، مادام هناك شرك فلا عمل متقبل ولا يقبل الله سبحانه وتعالى مطلقاً أي شيء من العبد إذا أشرك، فالله سبحانه وتعالى يجعل عملَ المشرك هباءً منثوراً، يقول الله تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:23].

يأتي المشرك بالصالحات، وبالخيرات، وباللطف، وبالإحسان، وبالأخلاق، يأتي مع ذلك مع الشرك فيجعل الله سبحانه وتعالى كل هذه الأعمال هباءً منثوراً، لاتفيده بشيء إنما التوحيد عباد الله هو الذي يفيد الناس.

ونوعٌ من الظلم، ظلمُ العبد نفسه، بتضييع بعض أوامر الله، وارتكاب بعض نواهي الله، فإن هذا ظلمٌ منك لنفسك أيها المسلم، ظلمك لنفسك أن تعصي الله سبحانه وتعالى، أن تعطلَّ بعضَ فرائض الإسلام، أن ترتكب بعضَ ما حرّم الله عليك، فتكون بذلك ظالماً لنفسك؛ لأن الواجبَ عليك طاعةُ الله، وتزكية نفسك بالعمل الصالح، يقول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس:9، 10]، فظلمك لنفسك بترك واجبٍ أو فعل محرم ظلمتَ نفسك وأسأت إليها، وفي الحديث: ((كلُّ الناس [يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها]).

وإذا سلم المسلم من ظلم الشرك ومن ظلم العباد ومن ظلم نفسه كان من الآمنين يوم القيامة، يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82]، الظلم هو الشرك، الظلم كما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشرك.

ومن أنواع الظلم ظلمُ العباد بعضهم لبعض، في دمائهم وأمواهم وأعراضهم، وأشياء كثيرة، فإن ظلم العباد ظلمات يوم القيامة، ظلمك أخاك المسلم بظلمه في عرضه، أو ظلمه في دمه، أو ظلمه في ماله، فذاك من أعظم الظلم، فحاول التخلص منها ما دمت في هذه الحياة. وقد حذرنا نبينا ﷺ من أن يظلم بعضنا بعضاً، أو يؤذي بعضنا بعضاً، يقول ﷺ: ((اتقوا الظلم؛ فإن الظلمَ ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))، وقال أيضاً: ((الظلم ظلمات يوم القيامة)).

أيها المسلم، اعلم أن الظلم في هذه الدنيا لن يضيع، وسوف يكون الحسابُ من حسناتك يومَ القيامة، إن لم تخلص نفسك من ظلم العباد في الدنيا فتكون المقاصّة من أعمالك الصالحة، فإن انقضت أعمالك قبل استيفاء المظالم منك حملت خطايا وسيئات

الآخرين، فما أعظم الخسارة في ذلك اليوم العظيم، يقول ﷺ محذراً المسلم من الظلم: ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله))، ويقول ﷺ: ((من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو غيره فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن يكن له حسنات أخذ من حسناته، فإن لم يف ما عليه أخذ من سيئات صاحبه وحمله))، ويقول أيضاً ﷺ يوماً لأصحابه: ((أتدرون من المفلس فيكم؟!)) قالوا: المفلس فينا من لا دينار له ولا متاع، لأننا نسمي مفلساً لقله ماله، فقال ﷺ: ((ولكن المفلس من يأتي يوم القيامة بأعمال صالحة، من صلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن انقضت حسناته قبل أن يوفا ما عليه أخذ من خطاياهم فحمل عليه ثم دخل النار))، فكان مفلساً.

أيها المسلم، وإن أنواع الظلم جاء في القرآن والسنة شيء منها، تحذيراً للمسلم وإرشاداً له في البعد عن مظالم العباد، ولما بين الله عز وجل في كتابه أن المرأة لا يجوز استرجاع شيء من مهرها الذي دفعه الزوج إليها إلا أن يكون هناك سبب يمنعها القيام بحقوق الله فأعقب ذلك بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:229]، ظلم الزوجة ظلم عظيم فاحذر من ذلك، الزوج لا يضر المرأة بإسترجاع المهر الذي لها لأنه أستحل فرجها.

وكذلك من الظلم تحريم الربا، والله سبحانه وتعالى وصف الربا بالظلم قال: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:279]، ووصف الله سبحانه وتعالى السارق بأنه ظالم لأنه أخذ مالا بغير حق، قال الله تعالى: قال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:28، 29]، ومن الظلم كذلك مماثلة من عليه الحق للغير، فلا يُعطي ما عليه من الحقوق، يقول ﷺ: ((مطل الغني ظلمٌ يحلُّ عرضه وعقوبته))، أي: من عليه حق للآخرين، فأحر الوفاء مع القدرة على ذلك، فإنه ظالم لذلك المسلم، حابس ماله بغير حق، أما المعذور الذي لا شيء عنده فالله يقول: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:280]، ليس ربا لا نظرة إلى ميسرة ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة:280].

ومن أنواع الظلم أيضاً ظلم الشريك لشريكه، وعدم الاعتراف بالحقوق، وفي الحديث: ((يقول الله سبحانه وتعالى: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإن خانه رفعت يدي، وجاء الشيطان)).

ومن أنواع الظلم اقتطاع مال مسلم بغير حق، يقول ﷺ: ((من اقتطع شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين)).

ومن أنواع الظلم تفضيل بعض الأولاد على بعض يقول الرسول ﷺ: ((اتقوا الله واعدوا بين أولادكم))، ومن أنواع الظلم السخرية بالمسلمين، واحتقارهم وازدراؤهم بالقول والفعل، يقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللُّقَبِ بِنِسْ أَلْسِمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11].

أيها المسلم، ومن أنواع الظلم شهادة الزور، فشاهدُ الزور ظالمٌ لنفسه، حَمَلها الأوزارَ والآثامَ، فليتقِ المسلم ربه في ظلمه لعباد الله، وليحذر عواقب الظلم ونتائج السيئة، وليتدبّر في حياته، فلا خير في حياة كلِّها ظلمٌ للعباد، ويا من له مع الناس معاملَةٌ ارتباطٌ تجاري، خلّص نفسك اليوم، قبل أن تلقى الله بتبعة العباد، ينساها الناس ويغفلون عنها، والله محصبيها عليك يوم القيامة، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:6]، لا تغرّتك قوتك ولا جبروتك ولا قدرتك وذكائك ومهارتك في الأمور، ولكن راقب الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، راقب الله في كلِّ أحوالك، واعلم أنّ قدرتك على ظلم العباد بأيّ الطرق كانت لا تعني عنك شيئاً، فالحزم كل الحزم أن تخلّص ذمتك من ظلم العباد، هذا هو الحزم والعقل والإدراك، وأما التحايل على ظلم الناس وبذل كلِّ الوسائل واستعمال الذكاء والخداع، فذاك لا يعني عند الله شيئاً، فإياك أن تظلم الناس في أموالهم، إياك أن تنتهك أعراضهم، إياك أن ترميهم بما هم برآء منه، إياك أن تسعى في سفك دمائهم، إياك أن تشهد عليهم بباطل وتقول عليهم ما ليس فيهم، فإن هذا إيذاء للمؤمنين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:58].

أيها المسلم، إن دعوة المظلوم دعوة نافذة، ودعوة مستجابة، ودعوة تصيب الظالم مهما كان، دعوة صاعدة إلى السماء، تفتح لها أبواب السماء، تصعدُ إلى ذي العزة والجلال، فربّ مصيبة تحلّ بك في نفسك أو ولدك أو مالك، تنسى المظالم ثم تفجؤك المصائب، وعند ذلك تعلم حقيقة الأمر.

النبي ﷺ أوصى معاذ بن جبل عامله باليمن عند تقدير أنصبه بهيمة الأنعام، قال له: ((اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))، وفي الحديث: ((ثلاث لا تردّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربّ: وعزّي، لأنصرتك ولو بعد حين)).

كم جنى الظلم على أهله، فمحق بركة الأعمار والأموال والأولاد، ودمر البيوت، وقضى على كلّ علم، فالواجب على المسلم تقوى الله، والتخلّص من دعوات المظلوم، يدعو عليك والله يسمع دعاءه في كلّ آن وفي كلّ حين، أنت في غفلة في دنياك، لا في هوك ولعبك، والمظلوم الذي [آذيته] بظلمك وأكلت ماله بظلمك يدعو عليك دعواتٍ يسمعها السميع البصير القادر على كل شيء، يسمعها من إذا قال للشيء: كن فيكون، وفي الحديث: ((إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته))، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:102].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكّره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].